Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن المعنى المجرد واحد تقريبا ، إحساس بالفناء يتهدد البشر ، فالزمان يطوى كل شىء . ولكن الشاعر الأول رسم الصورة من منظور شجرة ، والآخر رسمها من مستوى كوكب ، وهما مختلفان طبيعة وموقعا وإيحاء ، فمع التقاء أو اتحاد المقولة النهائية عن الإحباط والمرحلية للكائن البشرى وهو الشاعر فى الحالتين – فإن « أجواء » الصورة تختلف حسب الرمز المجسد الذى تطلع إليه الشاعر وأدرك من خلاله حتمية الفناء ، فالقرن والركب والماء والشرب والأباريق والخيل والعصف ، كلها من أسرة الشجر وما يثيره الشجر فى النفس ، تتجمع فى تلقائية وبداهة كاشفة ، لتتحدث عن « ركب » نزل فى هذا الموقع ثم رحل . أما الكوكب فإنه لا يتحدث عن ركب بل يسأل عن « قبيل » وإذا كان الركب يستريح ساعة من نهار فإن القبيل يعمر « البلاد » ، وتظهر « كم » لتعطى الإحساس بالامتداد الزمنى الذى يتطلبه الاحتكام إلى النجم مقرونة بالإقامة ، وهى تختلف عن « ثم أمسوا » بما فى « ثم » من دلالة على التراخى المؤقت ، وما فى « أمسوا » من حتمية وقرب ، وهذا غير « نهار » و « سواد » – بالتنكير – فى أبيات المعرى حيث الزمن المتطاول الذى تحصيه حركة الأفلاك . وفى البيت الأخير من كل مقطوعة يأتى قطاف الصورة فى عبارة حكمة ، لكنها ليست مفروضة ، إنها الشعور المسيطر الذى اجتذب مفردات الصورة أصلا وحكم مستواها ، فكانت فى المقطوعة الأولى : « عصف الدهر بالركب » ، أما فى الأخرى فإن الكلام عن « الحياة » المحكومة بحركة الأفلاك وتعاقب الليل والنهار .

إننا فى هذين المثالين لم نتوقف عند علاقة التشابه أو الاستعمال المجازى للغة ، وهو المتبادر إلى ذهن البلاغى من « الصورة » عادة . سيكون لهذا مكانه ، ولكننا نشير إلى وحدة الشعور فى الصورة وتعاون مفرداتها على تأكيد جوّ ودلالة ليس بالضرورة أن يكونا فى نصاعة الوضوح والتحدد (الذى ينافى الصورة بطبيعتها الإيحائية) ولكنهما بعيدان عن الاضطراب والاختلاط .

فى ضوء هذا الإدراك يمكن أن نقرأ أبيات شوقى فى « أنس الوجود » ، تلك الأبيات التى تصدرت دائما قائمة الاتهام لشوقى بالتلفيق وسطحية الإدراك وتناقض الصور ، وهو المهم الآن – من حيث الدلالة النفسية :

أيها المنتحى بأسوان دارا كالثريا تريد أن تنقضا